## الفصـــل الثامـــن
## الميتافيزيقيا، ماذا تكون،؟!

أثبت العلمُ أن كل شيء في هذا العالم يتكون من إلكترونات وبرتونات، وهما يكوِّنان – بدورهما – الذرات، وهي تكون – بدورها – الجزيئات، وكل شيء سواء الإلكترونات أو البروتونات والذرات والجزيئات سابحة ومهتزة، أي أن القانون العام هو اهتزاز الذرة بما فيها، وكذلك يجب أن نعرف جميعًا، أن كل اهتزاز منها يهتز ضمن رتبة أو درجة معيَّنة أو ضمن موجة معيَّنة، وهذا يقودنا – بالطبع – إلى القول: بأن الكون – برُمَّته – من حولنا هو عبارة عن موجات تختلف فقط في طول موجتها، وكلما زاد اهتزاز الشيء كلما زاد رقَّةً واكتسب شفافيةً كالغازات مثلًا.

كما أن حواسنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب، إلا مدًى معيَّنًا من هذه الرُّتب الكثيرة أو الموجات، فمثلًا حاسة السمع عندنا مقيَّدة بين عتبة السمع وعتبة الألم، من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبةً في الثانية، أي أن الأذن البشرية لا تدرك إلا أحدَ عشر سُلَّمًا ونصف، من أصل بلايين السلالم الصوتية، وأي شي ذو رتبة أقل أو أعلى فإننا لا ندركه، وهذا يدل على أن الإنسان لا يستوعب إلا الأحداثَ الظاهرة فقط!

ومما هو جدير بالذكر أن هذه النظرية سمحت للعلماء، أن يفترضوا وجودَ أكوان متداخلة مع بعضها، أي يخترق بعضها الآخرَ دون أن يشعر أحدُها بوجود الآخر، نظرًا لتغاير رتبته في التردد.

هذا ما سمح لعلم ما وراء الطبيعة أن يخرج للأفق، أو علم "الباراسيكولوجي"، ويعنى به علم ما وراء النفس، أو ما وراء الفيزياء، مع أنه متعلق – بشدة – بعلم الفيزياء.

اشتهرت زرقاء اليمامة في الجاهلية بحدة بصرها، وقيل: أنها كانت تستطيع الرؤية بوضوح على بعد مسيرة ثلاثة أيام، وقيل: أنها رأت مرة أعلامًا أو راياتِ غزو، متجهةً نحو

قبيلتها، فلما حذَّرتهم سَخِروا منها ولم يصدِّقوها، فلم يكونوا على علم أو يقين بمقدرتها، ثم وقعت الواقعةُ وجاءهم الغزوُ الذي حذَّرت منه زرقاءُ اليمامة.

هذه الحكاية عندما يسمعها أو يقرأها إنسانُ القرن الحادي والعشرين، فإنه يبتسم إذا شعر بمبالغتها، أو يهملها إذا اعتبرها أسطورةً خرافية، لكنها في نظر علم نفس الخوارق تُعتبر واقعةً محتملةَ الحدوث لا مجالَ للمبالغة أو الخرافة فيها، والتاريخ حافلٌ بمثل هذه الخوارق التي لم تخضع للمنهج العلمي إلا مؤخَّرًا.

- **إن ما أثبته علمُ نفس الخوارق من الحقائق التالية، يمكن أن يفتح للإنسان أبوابًا أخرى من المعرفة:**

١- فقد ثبت أنه بإمكان العقل أن يتصل بعقلٍ آخر دون واسطة ماديّة.

٢- وأنه بإمكان العقل الاتصال بموجودات أو مخلوقات أخرى، يشعر بها دون واسطة.

٣- وأنه بإمكان العقل تخطِّي المسافات الشاسعة.

٤- وأن بإمكانه التأثير في حركة الجماد والحيوان.

عندما يتصل عليك أحد أصدقائك أو زملائك، وترد عليه بالهاتف مثلًا، تقول له: كنت أريد الاتصال عليك أنا أيضًا.

ونحن في مصر إذا ما كنت أنت وصديق لك - مثلًا - تتحدَّثان عن قريب أوصديق ثالث لكما، فتجدانه أمامكما فجأةً، فتضحكان وتقولان لنفسيكما: ليتنا تذكَّرنا مليونَ جنيهٍ!!،

- **فهل تعتبران ذلك صدفةً؟!**

وتشعر أحيانًا ببعض الوخزات، وتقول: أنا أشعر بشعور سيِّيء حيالَ شخص معين! وبعدها قد يكون هذا الشخص يعاني من وعكة صحية ألَّمت به، فهل تعتبرها أنت صدفةً أيضًا..!

لكن،عندما نفكِّر مليًّا في هذه الأمور،نجد أنها تتكرَّر علينا مرارًا وتكرارًا، ولا زلنا نعتبرها مجردَ صُدف،رغم أنه لا وجود للصدف في هذه الحياة فكل شيء مقدَّر بمقدار!

هذه بعضٌ من الأمثلة الباراسيكولوجية، وهو علم قائمٌ بحد ذاته، وبالطبع سبحان الله – تعالى!! ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥)

ويدعى هذا العلم بـ"الباراسيكولوجي،Parapsychology" ، وهذا المصطلح ينقسم إلى قسمين الأول:para : ويعني باللغة العربية، ما وراء ،أو ما خلف، و psychology: أي علم النفس وإذا جمعنا القسمين تكوَّن: ما وراء علم النفس، كما يترجمه البعض إلى العربية بـ (علم النفس الغيبي)، والبعض يترجمه إلى (ما وراء علم النفس)، أو (علم الخوارق)،..

– والآن: ما هو علم الباراسيكولوجيا،؟!

– وسنجيب عن هذا التساؤل، فيما يلي:

**ما هو علم الباراسيكولوجيا ؟!**

لقد كان اهتمام الإنسان بشكل عام بالظواهر الطبيعية، أما الظواهر فوق الطبيعية فقد كان اهتمامه بها اهتمامًا سطحيًّا حتى مجيء عصر النهضة العلمية في أوروبا، إذ بدأ الإنسان بدراسة ما يرى من ظواهر الطبيعة بشكل منهجي دقيق.

وبدأ بالتالي في التخلص من كثير من مفاهيمه الخاطئة عن هذه الظواهر، ليستبدلها بمفاهيم مبنيةٍ على دراسة منهجية ، وبهذا نجح في تطوير علوم عديدة، مثل: الفيزياء والكيمياء والأحياء وغيرها، حتى وصلت الحضارة إلى ما وصلت إليه اليوم، من تقدمٍ مذهلٍ حقًّا.

إلا أن هذا الاهتمام الجِدِّي، الذي جعل الإنسان يفهم الظواهر الطبيعية لم يرافقه – للأسف – اهتمامٌ مماثل بدراسة الظواهر فوق الطبيعية والقدرات الخارقة، بشكلٍ علمي يجعلها تلقي بأنوارها على زوايا المعرفة التي لا تستطيع الظواهرُ الطبيعية إلقاءَ الضوء عليها.

إن الظواهر الخارقة هي ظواهر استثنائية، تختلف عن الظواهر الطبيعية على الأقل؛ لكونها ظواهرَ نادرة وغيرَ مألوفة، إلا أن هذا المظهر بالذات هو الذي يجعل منها ظواهر ذاتَ قيمة استثنائية للعلوم المختلفة إذ إن من يعلم أن المعارف العلمية المختلفة كثيرًا ما تطورت

نتيجة لدراسة ظواهر نادرة الحدوث لاحظها العلماء مصادَفة خلال دراستهم لظواهرَ أخرى مألوفة.

**- ويصنف العلماء الظواهر الخارقة إلى صنفين رئيسيين؛ هما:**

**التحريك الخارق، والإدراك الحسي الفائق**، "Psychokinesis"

يستخدم مصطلح التحريك الخارق للإشارة إلى القدرة الخارقة لبعض الأشخاص على التأثير في جسم ما عن بُعد دون استخدام أي جهد عضلي، أو نشاط للجهاز الحركي في الجسم، أيْ بعبارة أخرى: هي القدرة على تحريك الأجسام من غير لمسِها، بشكل مباشر باليد، أو بأيٍّ من أجزاء الجسم الأخرى، ولا باستخدام أي شيء من الوسائط التقليدية، لنقل التأثيرات الحركية إلى الجسم، كالاستعانة بآلة أو بالهواء عن طريق النفخ، إلخ، فالشخص الذي لديه قدرة التحريك الخارق - غالبًا - يستطيع تحريك الأجسام عن بعد بالقيام بنوع من التركيز العقلي، ولذلك فان هذه الظاهرة يشار إليها - أيضًا - بالعبارة الشهيرة: العقل فوق المادة "Mind over matter"، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أن العقل هو المؤثر الفعلي في الظاهرة.

**الإدراك الحسي الفائق**، "Extrasensory Perception"

بالرغم من أن هذا المصطلح كان قد استُخدم لأول مرة في منتصف العشرينيات من القرن الماضي، فإن استخدامه بشكلٍ واسع لم يبدأ إلا بعد أن نشر (جوزيف راين) في عام ١٩٣٤م كتابه المشهور الذي أسماه باسم هذه الظواهر، أي: (الإدراك الحسي الفائق)، الذي تضمن حصيلة سنين من تجاربه العلمية على هذه الظواهر في جامعة ديوك، لقد كان لهذا الكتاب تأثيرٌ كبيرٌ على الوسط العلمي، حيث ساعد في التعريف بهذه الظواهر، وبيَّن كيفية إخضاعها للبحث العلمي باستخدام أساليب ومناهج البحث العلمية التقليدية، وتنقسم ظواهرُ الإدراك الحسي الفائق، إلى ثلاثة أنواع:

- **أوَّلًا: توارد الأفكار "Telepathy"،**

وهي ظاهرة انتقال الأفكار والصور العقلية بين شخصين، من دون الاستعانة بأية حاسة من الحواس الخمس.

لقد اهتم الباحثون بهذه الظاهرة بشكلٍ استثنائي؛ فاستحوذت على أكبر نسبة من البحث التجريبي، الذي قام به العلماءُ على الظواهر الباراسيكولوجية، ويعتقد غالبية العلماء أن توارد الأفكار هي ظاهرة شائعة بين عددٍ كبيرٍ نسبيًّا من الناس العاديين، الذي ليست لهم قدراتٌ خارقة معيَّنة.

وفعلًا نجد أن معظم الناس يعتقدون أن حوادث قد مرت بهم، تضمَّنت نوعًا من توارد الأفكار بينهم وبين أفراد آخرين.

والملاحظة المهمة التي لاحظها العلماء من تجاربهم هي أن هذه الظاهرة تحدث بشكلٍ أكبر بين الأفراد الذين تربط بينهم علاقاتٌ عاطفية قوية كالأم وطفلها والزوج وزوجته.

- **ثانيًا: الإدراك المسبق.**

هو القدرة على توقع أحداث مستقبلية قبل وقوعها، هنالك قدرة شبيهة بالإدراك المسبق تعرف بالإدراك الاسترجاعي "Retrognition"، ويقصد به: القدرة على معرفة أحداث الماضي من دون الاستعانة بأي من الحواس، أو وسائل اكتساب المعلومات التقليدية.

ولما كانت الفيزياء الحديثة تعدُّ الزمن بعدًا رابعًا إلى الأبعاد الثلاثة التي تتحرك فيها الأجسام، وتتشكل منها فإن العديد من علماء الباراسيكولوجيا، يعتقدون أن هاتين الظاهرتين تمثلان تجاوزًا أو تغلُّبًا على حاجز الزمن، فالإدراك المسبق: هو تجاوز الحاضر نحو المستقبل، بينما الإدراك الاسترجاعي: هو حركة عكسية في بعد الزمن نحو الماضي.

- **ثالثًا: الاستشعار "Chairsentience"،**

هو القدرة على اكتساب معلومات عن حادثةٍ بعيدةٍ أو جسمٍ بعيد، من غير تدخُّل أية حاسة من الحواس.

وكما يَعد الباحثون ظواهرَ الإدراك المسبق تجاوزًا لحاجز الزمن، فإنهم يرون في الاستشعار تجاوزًا لحاجز المكان، هذه الظاهرة أيضًا هي من الظواهر، التي تم إخضاعها لبحوث علمية مكثَّفة<

ومن أشهر التجارب على هذه الظواهر، تلك التي قام بها عالمي الفيزياء (هارولد بتهوف، ورسل تارج)، في مختبرات معهد بحث ستانفورد، حيث تم اختبار قابليات أحد الأشخاص الموهوبين، وكان يطلب منه وصف تفاصيل مكان ما، بعد أن يُعطَى موقعَ المكان بدلالة خطَّيْ الطول والعرض.

كان هذان الباحثان يختاران أماكنَ تحتوي على معالم، لا توضع عادةً على الخرائط، لضمان أن لا يكون الشخص الذي تحت الاختبار قد شاهدها، والشخص القادر على وصف الكثير من هذه الأماكن بدقةٍ شديدة يتأكد امتلاكُه لقدرات فائقة.

وبالرغم من أن القدرات البراسيكولوجية تُصنَّف إلى الأنواع التي جري ذكرها، وهذا التصنيف يعتمده معظمُ الباحثين في هذا المجال، فإن تصنيف هذه القدرات هو في الحقيقة أصعب بكثير مما قد يبدو عليه للوهْلة الأولى.

إن صعوبة تصنيف الظواهر الباراسيكولوجية يشير إلى تعقيد هذه الظواهر ومحدودية المعرفة العلمية عنها حاليًا.

بل إن الأصناف أعلاه إذا كنت تشمل الغالبيةَ العظمى من الظواهر الباراسيكولوجية المعروفة فإنها في الواقع لا تغطي كلَّ تلك الظواهر.

ومما لا شك فيه أن قدراتٍ خارقةً مثل تلك التي تم التطرقُ إليها أعلاه هي مما يثير اهتمام الناس والباحثين والأشخاص المثقفين والبسطاءِ كذلك.

أما بالنسبة للاهتمام العلمي بهذه الظواهر فإن هدفه الرئيسي أن تساعِد مثلُ هذه الدراسات على مزيدٍ من الفهم لأنفسنا والعالمِ الذي نعيش فيه.

والواقع أن أهمية هذه الظواهر، وما يمكن أن تقدمه لفروع المعرفة العلمية المختلفة، يبدو جليًّا من خلال اهتمام علماء من مختلف الاختصاصات بدراسة هذه الظواهر.

كما أبدى الباحثون اهتمامًا باستكشاف أماكن وضْع مثل هذه القدرات تحت سيطرة الإنسان بشكل عام، وهو أمر يمكن أن يأتي بفوائد كبيرة طبعًا، إذا كان هذا العلم واقعيًّا بل إن أهمية الظواهر الباراسيكولوجية جعلت منها إحدى مجالات البحوث السرّيّة التي قامت بها الدولُ خلال فترة الحرب الباردة، وبالذات خلال السبعينيات من القرن العشرين إذ كانت هناك دراساتٌ كثيرة في المعسكرين الغربي والشرقي لبحث استخدام مثل هذه القدرات لأغراض تجسُّسيّة.

إن هناك مؤشرات كثيرة على أن علم الباراسيكولوجيا يمكن أن يكون العلمَ الواعد، الذي ستقوم على أسسه الحضارةُ الإنسانية الجديدة.

وقد أُقِرَّ هذا العلم في القرن التاسع عشر في العديد من البُلدان، وأقيمت له الكليات والمعاهد، سواء في الولايات المتحدة أو في روسيا في حِقبة الاتحاد السوفيتي، ولا ننسى أن (ستالين) كان مهتمًّا بالتخاطر في الوقت الذي كان يشغل فيه زعيم الاتحاد السوفيتي.

- **وهناك عدة مسمَّيات لهذا العلم، أو الباراسيكولوجى، منها ما يلى:**

علم الطاقة، وعلم الخوارق، والتخاطر والخروج من الجسد، والإسقاط النجمي وغيره، والآن، هناك عددٌ من الدورات والتدريبات التى تقوم بتعليم ونشر هذا العلم، والمأخوذ من مجلدات أجنبية غربية، وقد تأكّد أن أوضح مثال للتخاطر، أو الباراسكيولوجى مايحدث بين المحبِّين، فهم أكثر قدرةً عليه، وهو أكثر انتشارًا بينهم.

أما عن العلم، فنجد أنه قد أثبت أن كل شيءٍ في هذا العالم يتكون من ذرَّات، جزيئات، إلكترونات، وبروتونات سابحة ومهتزة، أي أن القانون العام هو اهتزاز الذرة بما فيها، وكذلك نعرف جميعًا أن كل اهتزاز يهتزّ ضمن رتبة معينة، أو ضمن موجةٍ معينة وهذا يقودنا

إلى أن الكون برُمّته عبارة عن موجات تختلف فقط في طول موجتها، وكلما زاد اهتزاز الشيء كلما زاد رقّةً، واكتسب شفافيةً كالغازات مثلًا.

وحواسنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب إلا مدى معينًا من الرتب، فمثلًا حاسة السمع مقيَّدة بين عتبة السمع وعتبة الألم، من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية، أي أن الأذن البشرية لا تدرك إلا أحد عشر سُلَّمًا ونصفًا، من أصل بلايين السلالم الصوتية، وأي شيء ذو رتبة أقل أو أعلى فإننا لا ندركه.

وهذا يدل على أن الإنسان لا يستوعب إلا الأحداثَ الظاهرة فقط، ومما هو جديرٌ بالذكر أن هذه النظرية سمحت للعلماء أن يفترضوا وجودَ أكوان متداخلة مع بعضها، أي يخترق بعضُها الآخر، دون أن يشعر أحدها بوجود الآخر نظرًا لتغاير الرُّتب أو اختلاف الموجات.

- **ولعلم الباراسيكولجي عدة فروع، منها:**
- **Telepathie**: التلباثي: كلمة أصلها من تعبير يوناني... وتعني في الأصل: الشعور عن بعد ويتعارف على هذا المصطلح بالعربية بـ (التخاطر).
- **وينقسم أيضًا إلى عدة فروع:**
- **"Telekinsis"**: التيليكينيزيا، أي التحريك عن بعد بقوة العقل، أو ما يعرف باسم: (العقل فوق المادة)،
- **"Clair-audience"**: الجلاء السمعي.
- **"Clairvoyance"**: الجلاء البصري، وهي ما يسمى بالمكاشفة عند علماء المسلمين.
- **"Astral projection"**: الطرح الروحي أو الخروج من الجسد، الذي يحصل بواسطة الجسد الأثيري **"Corps Astral"**.
- **"Spiritism"**: الاتصال بكائنات غير منظورة.
- **"Extrasensory per caption"**: الإدراك عن غير طريق الحواس.

- **وهناك الكثير مما يدرسه هذا العلم.**

كانت هذه مجرد بداية بسيطة للتعرف على هذا العلم غير الغريب على علماء المسلمين، ومنهم العالم ابن القيم / ويتضح اطلاعه على هذا العلم في كتابه (الروح)، وأيضًا كانت هذه من كرامات صحابة الرسول ﷺ وأولياء الله الصالحين، والذي لا يزال علماء الغرب يتعمقون في مسائله، ولا يزال الموضوع متشعِّبًا وهذه هي البداية فقط

**الباراسيكولوجيا، والظواهر الخارقة،!**

(أ)

كثيرًا ما نرى بعض الظواهر الغريبة مثل السحر والتنجيم وما يشابهه، والتي قد يؤمن بها بعضنا، أو لا يؤمن.

هذه الظواهر الخارقة أو الظواهر التي ليس لها تفسير من الناحية العلمية، والتي يطلق عليها العلماء (الباراسيكولوجيا)، أي الدراسة العلمية لبعض الظواهر الطبيعية، التي ربما تكون أو تظهر كخارقة كالوساطة الروحية، والتي هي محاولة بعض الأشخاص للاتصال مع بعض الأرواح.

والباراسيكولوجيا أو الدراسة العلمية للظواهر الخارقة، تحتاج لعدة دراسات ومن عدة اتجاهات، كدراسة الحوادث التي يتعرض لها الشخص أثناء ممارسته لتلك الظواهر الباراسيكولوجية، والتي تنقسم الى قسمين رئيسين، هما:

- التحريك الخارق، أي التحكّم بحركات جسم الإنسان أو بجسمه كليًّا، دون أن يحدث أية حركة أو أي إطراء للجهاز الحركي، والتحكم به عن بعد، والتي تعرف باسم: (العقل فوق المادة).

وهذا التحكُّم يكون عن طريق التحكُّم العقلي، لا بالتحكُّم الفيزيائي أو التحكم الواضح، ومنها ليُّ بعض المعادن دون استخدام العضلات.

- وأما القسم الثاني، فهو: الإدراك الحسي الفائق، ومن أبرز أنواعه التحريك الخارق، وهو التخاطر، أي الاتصال غير المدرك بين أطراف الظاهرة دون استخدام أية حاسة من الحواس الخمس، ومن أبرزها معرفة الأحداث المستقبلية ومن أبرزها أيضًا معرفة معلومات عن حادثة بعيدة أو شيء بعيد دون تدخُّل أي من الحواس الخمس، وأيضًا كالمشي على الفحم الساخن، أو ملامسة النار، ومنها الروح الضوضائية كتعلُّق بعض الأشياء في الهواء.

والباراسيكولوجيا التي تنقسم وتتجزأ لعدة فروع، ما هي إلا تحقق من بعض الظواهر التي تحير الإنسان، والتي قد يؤمن بها بعضُ الأشخاص، ومنهم من يوشك على ذلك، ولكنه يتساءل فالظواهر الخارقة المتواجدة على الأغلبية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، رغم توضيح الإسلام لبعض الأمور عن السحر مثلًا، لكنها إلى الآن متواجدة، ومنهم من يختلق حججًا كاستخدام سيدنا سليمان للجانِّ، ومنهم من يحتج بنهضة الفراعنة القدماء رغم استخدامهم للسحر.

فـ (الباراسيكولوجيا) قد تكون دراسةً لأشياء حقيقية، ممكن أن نؤمن بها أو لا نؤمن بها، وليس معنى ذلك أن نعتقد أن من دخل هذا المجال يُعد شخصًا من (المتخلفين)، أو نجعل هذا الشخص مُحقًّا تمامًا، وكما نعلم فهناك عدة ظواهر لا يفهمها الإنسان مع حُبه لفهمها بطبيعته، فكلنا معرضون لتصديق هذه الظواهر أو عدم تصديقها، وقد لا نصدِّق أن لبعض مستخدمي الظواهر الخارقة تفوُّقًا في القدرة على إبطال الشلل، ومنهم من لم يستطع إنقاذ الإنسان من أمراض خطيرة لكن العلم قد استطاع حلها.

(ب)

أهم الظواهر الباراسيكولوجية تشير إلى قابليات خارقة، في علاج بعض الأمراض والإصابات، وهذه القابليات ممكن أن تَزيد من فهم الإنسان لنفسه، ومن أساليب العلاج الباراسيكولوجية منها العلاج غير التقليدي، والتي تُسمَّى بالطب التكميلي، ومنها من هو أكثر ثورية إذ تطرح كبدائل للعلاج التقليدي، والذي يُطلق عليه (اسم الطب البديل).

وتصنيف العلاج التقليدي على أنه تكميلي أو بديل، يعتمد على ما إذا كان يستعمل كأساليبَ علاجية تقليدية، وفي هذا يسمَّى علاجًا تكميليًّا، ويكون بديلًا عن الأدوية الكيميائية، فمثلًا أن بعض الأعشاب يمكن أن تكون بديلًا عن الدواء الكيميائي، ولكن يجب على الإنسان أن يستعمله كعلاج تكميلي.

وكما في الأوقات الحالية يشاع أو يطلق على الطب غير التقليدي "HEALING" أي (الشفاء) أو (العلاج)، والذي يُشير أيضًا إلى الأساليب العلاجية، التي تحاول علاج المريض من خلال تحسين حالته السيكولوجية والمعنوية، لذلك يستخدم مصطلح (علاج) إلى ظواهر العلاج بشكل عام.

توضّح النظريات التي يقوم عليها منهجا الطب التكميلي والطب البديل ودلالات أساليب العلاج التي يطرحها من جهة وبين أسس وممارسات الطب الغربي الحديث التقليدي من جهة أخرى نقاطَ تقارب واختلاف.

ففي النظريات الطبية غير التقليدية، ما يمكن جمعه مع مبادئ الطب التقليدي بقليلٍ من الجهد، إلى أن هنالك أيضًا ما يتعارض بشكل جِذري مع النظرة الطبية التقليدية، وانصب الاهتمام الآن – بشكل رئيسي – على تلك الظواهر الطبية، التي لا يمكن للنظرية الطبية

الغربية بشكلها الحالي أن تحتويها على الإطلاق؛ حيث تصنَّف هذه الظواهر مع الظواهر الباراسيكولوجية باعتبارها تكشف عن قابليات علاج (خارقة)، تتجاوز ما يتوقع و جودَه النموذج الطبي الغربي، إلا أنه سيتم أيضًا التطرُّق إلى ظواهر العلاج (غير التقليدي) بشكلٍ عام؛ لأن هذه الظواهر كثيرًا ما تكون متداخلة، وأحيانًا إلى الحد الذي يكون فيه من الصعوبة وضع حدود واضحة بينها.

- **ومن أساليب العلاج غير التقليدي:**

١ – التصوُّر، وهو قيام المريض بخلق صور معينة في ذهنه لها علاقة بزوال مرضه وبإمكانية شفائه وتحسُّن حالته الصحية.

٢- التنويم، وهو انتقال تأثيرات (مغناطيسية حيوانية) على جسم المريض.

٣– تدريب التحفيز الذاتي، وهو قيام المريض بالاسترخاء، وتكراره مع نفسه عبارة أو جملة معينة، كقوله: (أنا جسمي دافئ) فيحس جسمه فعلًا بالدفء.

٤ – التغذية العكسية الحياتية، أي محاولة الشخص القيامَ بتغيير مفيد في فعالية جزءٍ معينٍ من جسمه، أو نشاطِ إحدى وظائفه.

٥ – الوخز بالإبر، وهو يعتمد على أن هنالك خطوطًا للطاقة تمر من الرأس إلى أصابع اليد والقدم، ويرتبط كلٌّ منها بأعضاء، وأجهزة معينة في الجسم ، تعرف هذه الخطوط بـ (خطوط الذروة).

٦ – الهوميوباثي، وهو يعتمد علاجُه على تحفيز نوع من المناعة في الجسم، وذلك بإعطاء المريض جرعة مخففة من مادة تسبب أعراض المرض.

٧– أوستيوباثي، وهو يعتمد على أن السبب تحرك العظام عن مواضعها الأصلية، ولذلك يكون علاجه هو التدليك اليدوي للمفاصل.

٨- كايروبراكتيك، والذي يعتمد على أن الجهاز العصبي يتحكم في الجسم، ولذلك فإن أي خلل في الجسم لابد أن يكون يتبعه خللٌ مقابلٌ له في أعصاب تلك المنطقة من الجسم، ويكون علاجه بتقويم العمود الفقري للجسم.

٩- العلاج بالعطر، الذي يعتمد على استخدام الزيوت العطرية في تدليك الجسم.

١٠- التأمل، وهو عملية التخلص من حالة الأفكار المتشاحنة، والتي هي الحالة الاعتيادية للعقل.

(ج)

تحتوي بعض الأدبيات العلمية الطبية الإنجليزية، التي إذا أخذنا منها أمثلةً باللغة العربية، كـ (نفسي) يجعل من معانيها (روحي) مع اختلاف دلالات هذه الكلمة من مجتمع لآخر، ومنها ما يكون معناه أو صيغة العلاج فيه متعلّقًا باعتقادات المريض حول نفسه وما سيحدث لها، ومنها أيضًا ما يشير إلى الظواهر نفسها، وتجاوزًا لاستخدام أي من هذه المصطلحات، التي يوحي كلٌّ منها بتفسير معيَّن بالذات،

ولأن الظواهر التي جرت العادةُ بالإشارة إليها على هذه المصطلحات، تُشكل في الواقع خليطًا من ظواهر يختلف بعضها عن بعض اختلافات نوعيةً جوهرية، فسيُستعمل مصطلح (العلاج الخارق) للإشارة لجميع هذه الظواهر، (العلاج الخارق)، هو قدرة بعض الأشخاص على إحداث تأثيرات إيجابية، على الحالة الصحية على الكائنات الحية الأخرى - بشرية أو حيوانية أو نباتية، دون استخدام الأساليب التقليدية الطبية الحديثة الغربية ولا الأساليب غير التقليدية التكميلية أو البديلة،

ولعل العلاج الخارق هو ما يُعرف بأسلوب (وضع الأيدي)، حيث يضع المعالج إحدى يديه أو كلتيهما، قرب جسم المريض من دون لمسه، مع (التركيز ذهنيًّا) على علاج المريض، ومن المعالجين من يضع يديه على علَّة المريض، ومنهم لا يضع ومنهم أيضًا من لا

يحتاج حتى إلى التركيز الذهني، ومن بعض الحالات المفاجأة وغير المتوقَّعة ومن دون تدخل أحد من المعالجين حوادثُ العلاج الخارق التي وقعت، وتقع في الأماكن المقدسة.

ومن التجارب التي قامت بها العالمة (جستا سميث)، حينما أتت بالمعالج الهنغاري المشهور (أوسكار ايستباني)، وحين إجراء التجربة استطاع هذا المعالج، وباستخدام أسلوب وضع الأيدي لمدة ٧٥ دقيقة استطاع زيادة فعالية سائل إنزيم التريبسين، وإحداث زيادة في سائل الإنزيم تُقدَّر بـ ١٠ ٪، والغريب أن السائل كان موضوعًا في وعاء زجاجي مغلَق، وبذلك أثبتت قابلية العلاج الخارق، وقد أعادت العالمة سميث مع معالجين آخرين ذوي قابلية اعتيادين.

ومن التجارب الأخرى الجديرة بالذكر التجربة التي أجراها العالم (بيرنارد جراد)، وهذه التجربة قد أجريت لدراسة تأثير العلاج الخارق على الأنسجة والكائنات الحيَّة، وفي هذه التجربة قد استطاع أحد المعالجين أن يُنمِّي نسبة البكتيريا في أحد الأنابيب، واستطاع قتل بكتيريا موجودة في أنبوب آخر.

والمعالجون لهم قدرة على تشخيص الأمراض، وعلى حلها أيضًا من خلال الأساليب السابق ذكرها، ومنهم من استطاع من خلال التأثير عقليًّا على أهداف مختلفة من منظومات بيولوجية، من ضمنها: الحيوانات الوحيدة الخلية والحيوانات شبيهة الجُرَذ، وبالتأثير أيضًا على مستحضرات خلوية كخلايا الدم والأعصاب، ومنهم من استطاع أن يشفي أحد مرضى السرطان.

**الجراحة الخارقة!**

الجراحة الخارقة، هذا المصطلح الذي يُطلَق على بعض الأفراد الموهوبين، الذين يستطيعون إجراء عمليات صغرى أو كبرى، دون استخدام أساليب التخدير والتطهير، ودون شعور المرضى بألم أو تلوث جروحهم، وعلمًا أنَّ الغالبية العظمى لممارسي الجراحة الخارقة لا تتعدى معلوماتُهم الطبية ما يعرفه عامةُ الناس.

وبالنسبة لصور الجراحة الخارقة، فلا تختلف وجهة نظر الباحثين لها عن الظواهر الباراسيكولوجية الأخرى، التي تتحدى النظريات العلمية القائمة، فمن العلماء من يعتقد أنها غير حقيقية ولا يؤمن بها لالتصاقها بأعمال الغش والخداع، ومنهم من شاهدها وصار يؤمن بها حتى لو كانت مبنية على أسس خرافية.

فعلى سبيل المثال قام أحد الباحثين في جامعة أوكلاند الأمريكية بمراقبة بعضهم، ثم أظهر أن هناك أحد ممارسي الجراحة الخارقة، قد جلب معه إلى موقع العمليات قطعًا من الأنسجة البيولوجية الميتة قد خبَّأها بين يديه؛ ليخرجها أثناء العملية مدَّعيًا أنه استخرجها من جسم المريض، الذي يُفترض أنه سيقوم بفتح جسمه بيديه المجردتين ومن دون استخدام أدوات جراحية.

ومنهم من يشكِّك في أن الظاهرة غير حقيقة وتنطوي على الغش والخداع، فكما يبينون أن هنالك أحد ممارسي الجراحة الخارقة، قد أجرى عملية جراحية دون أن يسيل الدم من هذا المريض، وبالرغم من التقارير عن (خفة اليد)، التي يبدو أنها فعلًا تمارس من قبل بعض مدِّعي الجراحة الخارقة، فإن هذه الظاهرة ليست كما يدَّعي البعض بأنها عمليات غش وخداع يقوم بها الدجّالون، فهذا ما تبين بعد العمليات التي قام بها بعضُ الجرّاحين.

وفي الواقع، إن مِن بين مَن اطلع على هذا الموضوع، وقام بمراقبة شديدة للعمليات بعض حملة الشهادات في العلوم الطبية، مثل الياباني (آزوما) والبروفيسور الأمريكي المعروف في الطب النفسي (ستيفنسون).

وطبعًا مثل هؤلاء تكون مسألة خداعهم مسألةً صعبة، من قِبل ممارسي الجراحة الخارقة، بالإضافة إلى ذلك فإن بعض الباحثين قاموا هم أنفسهم، بمساعدة الجرّاح الممارس للجراحة الخارقة في العمليات التي يقوم بها، كما حدث مع بروفيسور الأنثربولوجيا (جرينفيلد)، وبالرغم من قيام بعض مدَّعي الجراحة الخارقة بعمليات الغشّ والخداع، إلا أن

هناك تقاريرَ ودراسات أخرى دقيقةً، عن جراحين آخرين – فلبينيين وبرازيليين على وجه الأخص – أثبتت حقيقة هذه الظاهرة.

ومن بعض الجرّاحين الخارقين الذين يجدر ذكرهم تلك الحركة الدينية (الروحانية)، التي ظهرت في البرازيل في القرن التاسع عشر، التي يعتمد فيها هؤلاء الروحانيون على قاعدة الافتراض، بأن المريض في حالة وعي متغايرة خلقتها علاقة (الحامي) أو (التابع)، التي تربط ما بين المريض والقائم بالجراحة الخارقة، أي شعور المريض بتبعيته للجرّاح الخارق، واعتبار المريض الجراح الخارق حاميًا له، وبأن الجراح الخارق يقوم بحمايتهم بفضل قدراته الخارقة، وغير الطبيعية.

وقد قام هؤلاء الدينيون البرازيليين (الروحانيون) بإدخال المرضى أو (التابعين) إلى حالة غشية، بحيث يكون المريض في حالة وعي متغايرة، مما يجعل اشتراكهم في طقوس العملية سببًا في تقليل مخاوفهم وقلقهم، إلى الحد الذي يجعلهم يبدءون في الشعور بتحسن.

أمّا النموذج الذي قدَّمه العالمان (آزوما، وستيفنسون) عن الجراحة الخارقة في الفليبين، فهو مشابه لما قاله (جرينفيلد)، فهم يفترضون أن هذه الحالة مشابهةٌ لحالة التنويم، ولكنها ليست مثلها تمامًا، بحيث إن العالِمَين وجدا في الفليبين أن الجراحين الخارقين يقومون بإحاطة المريض بحشدٍ من المتفرِّجين؛ حتى يشجعوه ويجعلوه في حالة شبيهة بالتنويم، وبذلك يعتقد المريض أن العملية سوف تنجح.

ما أدلى به العلماء السابقون (آزوما وستيفنسون وجرينفيلد) يدل على أنهم يؤكدون أن ظاهرة الجراحة الخارقة تستند إلى عامل رئيسي، وهو حالة الوعي المتغايرة لدى المريض، ومن الضروري الإلمام بالنظرة العلمية بالذات عما يعنيه مفهوم (حالات الوعي المتغايرة)، والذي أصبح استعماله حتميًّا في كل دراسة باراسيكولوجية.

**الصوفية، والقدرة الخارقة،!**

وهناك بعض المفاهيم الخاطئة حول الطريقة التي توصلك للقدرة الخارقة، وقبل أن نتطرق لهذا الموضوع نشير أولًا إلى بعض المفاهيم الأساسية للفِكْرِ الصوفي بشكلٍ عام، إن أول مصدر يمكن الرجوع إليه لبناء فَهْمٍ صحيح عن (الطريقة) هو القرآن العظيم، الذي وردت فيه تسمية (الطريقة) في الآيات الكريمة التالية: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ (طه: ٦٣)

﴿ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴾(طه: ١٠٤) ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ (الجن: ١٦).

في هذه الآيات تبين أن تعبير كلمة (طريقة) يفيد معنى (طريق) بشكل عام، إلا أن الآية الأخيرة تُشير إلى ما اصطلح على الإشارة إليه – فيما بعدُ – بالتصوف.

أما أتباع (الطريقة) فقد أُطلقت عليهم العديد من التسميات التي اشتهر منها على وجه الخصوص (المُتَصوِّف) أو (الصُّوفي)، فعُرف صاحب (الطريقة) بـ (المُرِيد)؛ لكونه يريد وجه الله، ومن التسميات التي أطلقت أيضًا (العابد) أو الـ (درويش) و (السالك).

أما الآن فأريد أن أتطرق لمسألة شيوع الكثير من الأفكار الخاطئة عن (الطريقة) و أسبابها و مصادرها. فقد كتب الكثيرون عن (الطريقة) وعن أهل (الطريقة) من غير علم بحقيقة (الطريقة)، وما يعنيه اتِّباع (الطريقة).

ومشكلة الكثيرين ممن كتبوا عن (الطريقة) هي أنهم توهَّموا في أنفسهم علمًا عن (الطريقة) وفهمًا لها، من بَعد أن اطَّلعوا على بعض ما قد كُتب عن (الطريقة)، والحقيقة التي لم يستطع إدراكَها هؤلاء هي أن علوم (الطريقة) علوم روحية بالدرجة الأولى، وليست علومًا عقلية.

إذ بينما يمكن تعلُّم العلوم العقلية نقلًا، نجد أن العلوم الروحية هي علوم قلبية أساسًا ولذلك فإن إمكانية التعرُّف عليها بشكل أعمق من حدٍّ ظاهري معيَّن، ترتبط – بشكل

أساسي – بأهلية القلب لإدراك أسرار هذه المعرفة، فبعد تعلُّم ما يعُرف بـ (ظاهر الطريقة) بالقراءة والاستماع، لن تؤتي قراءة عشرات بل ومئات الكتب وسماع الكثير من الوعظ شخصًا ما عِلْم (باطن الطريقة)، إذا لم يكن في قلبه مستقَرٌّ سليم لهذا العِلْم، أي بعبارة أخرى: إن علوم (الطريقة) ذات وجهين؛ ظاهري، وروحي، و يُطلق عليه أحيانًا مصطلح (باطني).

يُمثِّل علم ظاهر (الطريقة) الأسس الفكرية والفلسفية لمفاهيم (الطريقة)، وتفاصيل تطبيقاتها، لذلك فهو في متناوَل العقل البشري.

أما العلوم الروحية للطريقة فتشمل الأسس الغيبية لمفاهيمها وتطبيقاتها، والوصول إلى هذه العلوم هو خاص بالقلب السليم.

لذلك فإن من فاته التمييز بين ما يمكن أن يُعمل عقله فيه، وما لا يمكن لعقله أن يسبر أغواره، لا بد أن يصل إلى نتائج وأفكار خاطئة عن (الطريقة).

ومما يثير العجب أن يرى المرء أغلبَ الكُتَّاب عن (الطريقة)، ممن ليسوا أنفسُهم أتباعًا لـ (الطريقة)، يميلون إلى التركيز في كتاباتهم على مناقشة الأمور الروحية للطريقة.

لقد أجمع أساتذة ومشايخ (الطريقة) على أن السبيل الوحيدة إلى العلوم الروحية للطريقة هو سلوك نهج (الطريقة) نفسه، أي بأن يصبح الشخص نفسه مُرِيدًا من مُرِيدي (الطريقة).

وطبعًا المقصود هنا أن يكون الشخص مُرِيدًا حقيقيًّا صادقًا؛ ليصبح من أولي القلوب السليمة، التي يمكن للأسرار الروحية للطريقة أن تنَّزل عليها، إن (الطريقة) بنيان من أفعال مقام على أسس من أقوال، فأساس الطريقة آيات القرآن العظيم والأحاديث النبوية المَوَثَّقة، وبنيانها أفعال الرسول ع التي تُمثِّل التطبيقَ الكاملَ لأوامرِ القرآن العظيم.

هنالك أكثر من سببٍ وراء ظهور الكثير من الأفكار الخاطئةِ في كتابات معظم الذين كتبوا عن (الطريقة)؛ فهنالك طائفة من الكتَّاب كانوا ليس أكثر من نقلةٍ لأخطاء باحثين سبقوهم، وهنالك زُمرة أخرى أنكرت الجانبَ الروحي للطريقة، وأخذت تُحلِّلُ ظاهر

مفاهيمها وممارستها، وترجعها إلى مختلف المصادر غير الحقيقية، وإلى هذه الزمرة ينتمي معظم المستشرقين.

كما كانت هنالك مجموعة من الباحثين لجأت إلى الكتب رغبة في استكشاف الأسرار الروحية للطريقة، والعامل المشترك بين الكثير من هؤلاء الباحثين، هو عدم أخذهم بما كان مشايخ (الطريقة) دائمي التأكيد عليه، وهو أن الفهم الصحيح للطريقة يأتي فقط من خلال الإلمام بجانبها النظري، وتطبيق جانبها العلمي، اللذَين لا يُغني أحدهما عن الآخر.

أي يشترك هؤلاء الباحثون في إهمالهم لحقيقة أن (الطريقة) نهجٌ مبنيٌّ على الممارسة، وأن الأسرار الروحية للطريقة يمكن أن تُدرك من داخل (الطريقة) فقط لا من خارجها، ومن الأمثلة التي طالما ضربها مشايخ (الطريقة) لتقريب مدى أهمية ممارسة (الطريقة) إلى أذهان الناس، هو تشبيهها بالـ (طَعْم)، الذي لا يمكن أن يُدرك إلا بالتجربة، أي بالتذوق، إذ لا يمكن لإنسان أن يُدرِك، على سبيل المثال، طعم تُفاحة من غير أن يتذوقها، ولو قرأ عنها أو سمع كل ما كُتب وقيل في وصفها.

إن (الطريقة) منهج متكامل من فكر وممارسات لا يمكن الفصل بينهما، لذلك فإن التطرُّق إلى شرح بعض ما تمثِّله (الطريقة) يستوجب التطرُّق إلى فكرها وممارساتها في الوقت نفسه، وعدم الانتباه إلى هذه الحقيقة أو إهمالها، هو في الواقع أصلُ معْظمِ المفاهيم الخاطئة عن (الطريقة) بين عامة الناس، وحتى بين الباحثين المتخصصين.

إن المفهوم النهائي عن (الطريقة)، يجب أن يُبنى من تكامل ما تمثله من مفاهيمَ مع ما تمثِّله من ممارسات،

**علم نفس الخوارق !**

كما ذكرنا من قبلُ، فقد اشتهرت زرقاء اليمامة في الجاهلية بحدة بصرها، وقيل: أنها كانت تستطيع الرؤية بوضوح على مسيرة ثلاثة أيام في البادية، وقيل: أنها رأت مرةً أعلام أو رايات غزو متجهةً نحو قبيلتها، فلما حذَّرتهم سخروا منها، ولم يصدقوها – فلم يكونوا على

علم أو يقين بمقدرتها الخارقة – ثم وقعت الواقعة وجاءهم الغزو الذي حذَّرت منه زرقاء اليمامة.

هذه الحكاية عندما يسمعها أو يقرأها إنسانُ القرن الحادي والعشرين، فإنه يبتسم إذا شعر بمبالغتها أو يهملها إذا اعتبرها أسطورة خرافية، لكنها في نظر علم نفس الخوارق، تُعتبر واقعةً محتملة الحدوث لا مجال للمبالغة أو الخرافة فيها، والتاريخ حافل بمثل هذه الخوارق التي لم تخضع للمنهج العلمي إلا مؤخَّرًا.

إن ما أثبته علم نفس الخوارق من الحقائق التالية يمكن أن يفتح للإنسان أبوابًا أخرى من المعرفة:

- فقد ثبت أن بإمكان العقل أن يتصل بعقل آخر دون واسطة مادية.
- وأن بإمكان العقل الاتصال بموجودات، أو مخلوقات أخرى يشعر بها دون واسطة.
- وأن بإمكان العقل تخطّي المسافات الشاسعة.
- وأن بإمكانه التأثير في حركة الجماد والحيوان.

إن الإنسان لا يزال دائمًا يحيا في عالَمٍ غريبٍ معقَّد، فهو والكون المحيط به مجموعة أسرار غامضة، تستوجب التواضع البشري والحماسَ العلمي، لكشف المجهول والإيمان بعظمة الخالق.

قال بعض العلماء: إن علم نفس الخوارق سيكون أقربَ العلوم إلى الفكر الديني، بل وسيتلاءم مع الدين ويسير معه جنبًا إلى جنب، والمستقبل وحده كفيل بجلاء الحقائق.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١)

– كيف تعرف أن شخصًا ما يفكر فيك الآن..؟!

عندما تعتريك حالة عاطفية مفاجأة، حوْل شخص ما، وتكون هذه الحالة مشابهةً لحدث واقعي، فإنه بالفعل يفكر فيك في هذه اللحظة، بمعنى: عندما أتذكر والدي أو أمي أو

أختى أو أخي أو صديقي، ثم لا تتعدى كونَها أفكارًا طبيعية، ولا أحِس بحرارة في المشاعر، فإن هذه خواطرُ من العقل الباطن لا أهميةَ لها في الموضوع.

لكن، تأملْ معي عندما تكون في المدرسة، أو في العمل أو عندما تكون مسافرًا إلى بلدٍ بعيد، ثم فجأة أحسست هذا اليومَ أنك تفكر في فلان من الناس، وكأن أحدًا ينبهك، ثم بدأت تحِس بانجذاب إليه، وتود مثلًا الاتصال به أوزيارته أو نحو هذا، فإن هذا ما نقصده،

وهذه النظرية، وإن كنتُ لم اقرأها في كتاب، لكني أجزم بصدقها، وإن الواقع يصدّقها، ومع مرور الزمن والتدرب على هذا الأمر ستجد أن من السهل عليك معرفة من يفكر فيك، بل مع التدرب المتواصل ربما تتعرف على نوعية المشاعر التي يطلقها الآخرون نحوك، والحديث في هذا يطول.

وكمقدمة لتعرف بدقة ماذا نعني بعلوم الخوارق، فأنت جالس مثلًا في غرفتك مسترخ هادئ، وفجأة تفكر في شخص، وكأنك تقول في نفسك، منذ زمن لم أره،!

- وفجأة يرنّ جرس الهاتف، وإذا به هو، هو نفسه من كنت تفكر فيه،!

تدخل مكانًا غريبًا لأول مرة، فتقول لمرافقيك أنه مكانٌ بديعٌ وجميل، وفجأة تحس أن لاوعيك بدأ يُظهر إلى ساحة الوعي، لافتةً عريضة كتب عليها ونقش فيها: ألا تظن أنك قد سبق أن رأيت هذا المكان،؟!

وأنت جالس مع أهلك في مجلس العائلة إذا بجرس الهاتف يرن، فتقول لهم: أنا أظن أنه فلان! فيكون تمامًا كما قلت.. بالفعل إنه هو! كيف؟!

تصادف فلانًا من الناس فتتأمل وجهه قليلًا، تضع عينيك في عينيه، فترى حروفًا تنطق عن حاله، وترى كلمات تحدثك عن أخباره، فتكاشفه بها لتتأكد أنك أصبت الحقيقه تمامًا،!

أنت وزميلك تتحدثان، تريد أن تفاتحه في موضوع، فإذ به ينطق بنفس ما أردت أن تقوله،!

هذه النماذج في الحقيقة ما هي إلا صور محدودة، تختصر ما سبق أن أسميناه: قدرات ما فوق الحسية، أو القدرات الحسية الزائدة، أو ما يشمل علوم التخاطر والتوارد للأفكار، والاستبصار ونحوها، وكل شخص منا من حيث الجملة، سبق وأن تعرَّض لمثل هذه الصور في يومه وليلته، أو خلال فترات ولو متقطعة، المهم أنه سبق أن مرَّ بمثل هذه التجارب في حياته،!

بقيت في ذاته وفي تفكيره، ربما من غير تفسير واضح، هو يدرك أن ثمّة شيئًا غريبًا بداخله، هو يدرك أن هذه من الأمور الغامضة، أو نابعة من قوى خفيّة غير ظاهرة، المهم أنه يدركها ويحس بحقيقتها ماثلةً أمامه، حتى وإن عجز عن إيجاد تفسير دقيق وجليّ لهذه الظواهر،!

كثير من الناس لا يتنبهون إلى أن مثل هذه القدرات تحدث معهم كثيرًا، ربما تحدث للبعض في اليوم مرارًا وتكرارًا.

**عملية التصوُّف، وعالم الباراسيكولوجي،!**

غالبًا ما تكون الظواهر الصوفية كالظواهر الميتافيزيقية، حيث إنها لم تأخذ حقَّها من البرهان والإثبات العلمي، والسبب أن مواضيعها تدور دائمًا حول الحسِّيات المنفصلة عن التجربة العملية، باستثناء بعض الظواهر، (كتحمُّل الأذى بالسيوف والرصاص)، وبعض الرياضات الروحية،(كالتأمل المتعالي، واليوجا).

إن جوهر القدرة الصوفية يتمثل في الإيمان القَبلي لدى أصحابها، ومثل هذا الإيمان هو الذي يُعبِّر عن كونية الصوفية وتجسيداتها، فالتجربة الذاتية برموزها وإشاراتها هي الرصيد الأول والأخير للصوفي، وناتج ما يعتقده الصوفي أن عالمًا وراء هذا العالم لا نستطيع الإحساس به، عالم لا نستطيع اكتشافه إلا بالإلهام، وكما هو الرأي الصوفي القائل أن لا أحد يصل لهذا العالم غير الأصفياء، ومن اختارهم الحق، وهم أولياء الله.

فالصوفية هي فئة مختارة من المسلمين والأولياء: (فإذا استقامت النفس على الواجب وصلح الإنسان بآداب الله، سهل على الإنسان التفكر في هذا العالم، وهذا هو علم المعرفة).

كما أن الصوفية هي الفصيلة شبه الوحيدة، التي تختص بعلوم الخواطر وعلوم المشاهدات وعلوم الإشارة وغيرها، ولإن الظاهرة البارسيكولوجية في دائرة الجدل، فإن هناك ثلاث طرق تنقل ظواهر الإدراك فوق الحسي إلى قائمة العلوم السائدة:

- **الطريقة الأولى**: الإثبات التجريبي المتكرِّر المبني على الوسائل الإحصائية العلمية.
- **الطريقة الثانية**: تطوير الفرضيات المشكوك فيها حاليًا؛ لتفسير الظواهر الباراسيكولوجية بضوء منهجية العلوم السائدة باختلاف وجهاتها، إلى نظرية علمية موحَّدة ترتقي لقوانين التجريب العلمية.
- **الطريقة الثالثة**: مما تقدم يظهر لنا أن الخطوط الفاصلة بين الباراسيكولوجية والصوفية متوازنة، فيما نجد بعض الصوفيات أصبحت كالظواهر البارسيكولوجية تمامًا، كما قد أصبحت بعض الوجدانيات سببًا لجعل أحد الأشخاص متصوفًا، تحت مصطلح (ظواهر الإدراك فوق الحسي)، وإذا كان من يحمل قدرة باراسيكولوجية لا يعلم ما هي، فحالته مشابهة للمتصوِّف الذي يعلِّق قدرتَه بالتمكين الإلهي.

ولئن اعتُبِرت بعضُ القدرات قوةً نفسية فائقة، فإن ما أطلقنا عليه (القدرات الفوق طبيعية)، توضع في أمر (الغيب) أو في دائرة المستحيل، إذ إن معظم القدرات تذكّرنا بالخيال الإنساني المفتوح، فقوة الصوفي التي تعادل بسرعتها سرعةَ الضوء، تجعله "سوبرمان" يحوِّل المستحيل حدثًا يوميًّا في متناول اليد وتحت الطلب .

**الوعي، والظاهرة الخارقة!**

إن العلماء قد اتخذوا عدة مناحٍ للتكلُّم عن: (الوعي)، فمنهم من سلك منحى السيكولوجي البحت، ومنهم من سلك منحى فيسيولوجيًا الدماغ.

وفي الفترة الأخيرة ظهرت نزعة متزايدة، نحو تعريف وتفسير (الوعي)، بدلالة الاكتشافات الحديثة في علم الأعصاب، وقد أجمع العلماء على أن (الوعي)، هو ظاهرة مترابطة بالدماغ بشكل ما، فإنهم في اختلاف كبير حول طبيعة هذه الرابطة.

وقال (هينجيز) بروفيسور علم النفس التجريبي على شيوع كلمة (الوعي)، في مثل (فقد وعيه)، (استرجع وعيه)، يقصد بها الحالة العكسية للنوم والغيبوبة، أي حالة التواصل مع العالم، كما أن مفهوم (الوعي) يشمل القدرة على ملاحظة الذات، وليس العالم الخارجي فقط.

ويتفق جميع العلماء على أن (الوعي) ليس عملية (انتباه) للذات والعالمين الخارجي والداخلي، فبعض الحيوانات تعكس في سلوكها مثل هذه القدرات، إلا أن (الوعي) للإنسان أرفع من (وعي) الحيوان، لأنه يتضمن عمليات التفكير العميق والتخطيط البعيد المدى، واستخدام الرموز والإحساس بالجمال وغيرها.

وغالبًا ما يعتبر الباراسيكولوجيون تأثيرَ الوعي، أنه (العلة) الوحيدة وراء حدوث الظاهرة الخارقة المعينة، إلا إن وجود الكثير من المشكِّكين يعتبرون الظواهر الخارقة من نتاجات الوعي البشري، والفرق بين الرأيين أن الباراسيكولوجيون متأكدون، أن الوعي له يد في حدوث الظواهر الخارقة، وأنه موجود وجودًا حقيقيًّا، أي متواجدة في العالم الخارجي،

أما المشكِّكون فهم يؤكدون على أن الظواهر الخارقة ليست موجودةً إلا في العالم الداخلي، أو الوعي الباطني في الإنسان، ولا أساسَ له في العالم الخارجي ولا برهان، وهي مجرد خيال، وهذه العمليات قد تساعد على إعطاء صورة عمومية شفهية، لـ (الوعي).

و أخيرًا أستطيع أن أقول: أن (الوعي) على درجة كبيرة من التعقيد، وهو لغز من ألغاز الباراسيكولوجيا وسبب في الظواهر الخارقة.

أما عن حالات الوعي المتغايرة وعلاقتها بظواهر الباراسيكولوجيا، فيعتقد الباراسيكولوجيون أن حالات الوعي المتغايرة لها دور في ظواهر الباراسيكولوجيا، ومن أهم

الأسباب التي يعتقدها الباراسيكولوجيون هو نزعة (أنسنة) هذه الظواهر، التي كان الناس من مئات وآلاف السنين ينسبون الكثير منها – إن لم تكن كلها – إلى قوى بشرية، وبالتحديد للكائنات غير البشرية؛ الأرواح وغيرها.

والاعتقاد العام للعلماء والباراسيكولوجيين أن تفسيرات الإنسان لهذه الظواهر، مبنية على أسس ميتافيزيقية (فوق طبيعية)، وإنما هي امتداد لمفاهيم طبيعية ومادية، بديلة لاعتقادات الناس القديمة فيعتقد الباراسيكولوجيون أنها ناتجة عن علاقة وعي الإنسان بالعالمين الداخلي والخارجي وأنها ظواهر تحدث حدوثًا حقيقيًّا.

أما المشكِّكون فيعتقدون أن هذه الظواهر غير موجودة وغير حقيقية، وأن من يدَّعي قدرته على فعل هذه الظواهر فهو كاذب ومخادع، أو أنه اعتقد ذلك في عقله الباطن فقط، أي أنه (محض خيال ووهم).

ومن المُلْفِت للنظر أن الباراسيكولوجيين يؤمنون إيمانًا تامًّا أنه لا علاقة بالظواهر الخارقة بالميتافيزيقيا، بل هي حقيقية موجودة.

ومن أهم النقاط التي أشعلت الحرب التفسيرية للظواهر الخارقة بين الباراسيكولوجيين والمُشكِّكين أن العلماء قد أبطلوا الكثير من اعتقادات الظواهر الخارقة التي آمن بها الباراسيكولوجيون، مثال: أن الباراسيكولوجيين اعتقدوا أن الخفاش له وساطة روحية تبحث له عن طريقِه، وبذلك لا يصطدم بالأشياء، ولكن العلماء اكتشفوا أن الخفاش يُصدر موجات صوتيةً تذهب وترجع له كالرادار، وهي من تهديه طريقَه.

وقد ادعى العديد من الباحثين أن شيئًا من القابليات الخارقة يمكن أن تظهر عند أي شخص إذا استخدم الوسائل التي تعتبر مولِّدة لحالات الوعي المتغايرة، كالحلم والتأمل والتنويم وتناول العقاقير المخدِّرة والحرمان الحواسي، وما يستنتجه العلماءُ – عادةً – من هذه الدراسات، هو أن حالة الوعي المتغايرة المعيَّنة، تساعد على ظهور قابليات باراسيكولوجية،

أما (جاردنر مورفي) فيعتقد أنها ليست حالة الوعي المتغايرة، هي التي تظهر قدرات خارقة، ولكن الانتقال السريع من إحدى حالات الوعي المتغايرة، إلى حالة أخرى هي من تفعل.

وفي بحث شمولي أجراه أحد العلماء عن حالات الوعي المتغايرة، وظواهر (بساي)؛ كقراءة أفكار الغير وغيرها، استنتج أن الواقع الفعلي لما هو متوافرٌ من البيانات، من البحوث الباراسيكولوجية التجريبية، أكثر مما يُعبِّر عنه افتراضُ وجود علاقة سببية مباشرة بين حالات الوعْي المتغايرة وظواهر بساي.

وعلى سبيل المثال قد أُجري اختبار لقابليات الإدراك الحسي الفائق لإحدى الوسيطات الروحية، وظهر أنها تستطيع أن تُظهر مواهبها بالقوة نفسها في الظروف الاعتيادية، وخلال ممارستها الوساطةَ الروحية أيضًا.

اختصارًا لكل ما تقدم، يمكن القول أن البحث الباراسيكولوجي قد ضلَّ سبيله بإصراره على دراسة الظواهر الباراسيكولوجية، كنتائجَ لتغيُّرات في وعي الإنسان.

**التنويم، كحالة وعْي متغايرة،!**

إن البحث العلمي في حالات الوعي المتغايرة متشابهةٌ في حقيقتها، وهي فرضية كانت قد نشأت نتيجةً للتقليل من شأن الفروق، بين حالات الوعي المتغايرة المختلفة من جهة، وطموح العلماء إلى وضع صورة مبسطة عن الظاهرة البشرية من جهة أخرى، إذ أن كل الدلائل تشير إلى أن تركيب ووظائف الوعي البشرية، لهِي أعقد بكثير مما يتمنى العلماء،

ومن حالات الوعْي المتغايرة نستعرض حالة (التنويم)، هذه الحالة التي تعجز الأكاديميات العلمية عن تحديد تعريف لها، إن هذه الحالة تستطيع أن تتحكم في الإنسان فباستطاعتها أن تجعله يهَلْوس أو يحمل الأثقال، إلخ.

- فكيف استطاع التنويم فعل هذا بالإنسان،؟!

يقول العلماء: أن الربط بين هذه الظواهر هو نتيجة لمجموعة غريبة من الظروف التاريخية، في البدء كان مفهوم ومصطلح (التنويم) مختلفًا حيث اعتقد (فرانز مسمر، الطبيب النمساوي)، أن هذه الظاهرة تتضمن انتقال تأثيرات (مغناطيسية حيوانية)، عبر المرحلتين التاليتين:

- **المرحلة الأولى**: تمرير مغناطيس نحو جسم المريض،
- **المرحلة الثانية**: استخدام تمريرات من يده بدلًا من المغناطيس، معتقدًا أن المغناطيسية الحيوانية موجودةٌ في جسمه، وأن هذه المغناطيسية الحيوانية تُنَشط دورةَ المائع المغناطيسي في جسم المريض، التي يكون قد أضعفها المرضُ.

ومع مرور الزمن تغيَّر مصطلح الظاهرة من (مغناطيسية حيوانية)، إلى (تنويم مغناطيسي)، ومن الجدير بالذكر أن التنويم له فائدةٌ كبيرةٌ في الطب حيث يقوم بالتسبُّب في شفاء أمراض الحساسية، الصدفية، الثؤلول، والسيطرة على الألم، بالإضافة للتغييرات التي يحدثها في درجة حرارة طبقات الجلد الخارجي، وتغييرات فيزيائية وفسيولوجية أخرى في الجسم.

وبناءً على عالم (التنويم) الغامض، وحالات الوعي المتغايرة بظلامها، هل من المستغرب، أن لا تحدد الجمعية الأمريكية للتنويم السريري "a.s.o.c.h" تعريف (التنويم) ؟!!